DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

الرحالة الهندي أبي طالب خان ورحلته إلى العتبات المقدسة في العراق عام 1803

أسعد حميد أبوشنة*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2023/8/02
تاريخ التعديل : 2023/8/09
قبـول النشـر: 2023/8/10
متوفر على النت: 2024/3/27

الكلمات المفتاحية :

أبي طالب خان ، رحلة ، بغداد ، النجف ، كربلاء ، سامراء، الهند

الملخص

يتطرق هذا البحث إلى رحلة أبي طالب خان إلى المدن المقدسة في العراق عام 1803 ، والتي جاءت ضمن رحلة أوسع إنطلقت من الهند إلى أوربا ، وأبو طالب خان شخصية سياسية وعسكرية هندية مسلمة مهمة في شمال الهند ، نقل لنا تفاصيل مهمة عن طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في المدن المقدسة في العراق ، تحت ظل الإدارة العثمانية ، في حقبة تاريخية مهمة مر العراق بها ، وشهد العديد من الأحداث السياسية التي كان لها أثر كبير في تاريخه الحديث ، كأحداث الغزو الوهابي عام 1802 ، وغيرها من الاحداث.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2024

المقدمـة:

شهد تاريخ العراق بمختلف مراحله ، زخماً كبيراً من الرحلات التي قام بها رحّالة من مختلف مناطق العالم ، وكان تاريخ العراق الحديث زاخراً بتلك الرحلات ، التي انطوت على العديد من الاهداف ، كلٌ حسب توجهاته وآراءه الفكرية ، ومن أهم تلك الرحلات التي قصدت العراق ، هي رحلة الرحالة الهندي أبي طالب خان إلى العراق سيما إلى العتبات المقدسة فيه عام 1803 ، بقصد الزيارة والتبرك ، لقد سلط أبي طالي خان الضوء على نقاط هامة في رحلته ، فتحدث عن بعض الأحداث السياسية ، وانتقد سياسة الدولة العثمانية تجاه المدن المقدسة ، وطريقة إدارتها لها ، وكيفية تعاملها مع الاهالي ، كما وصف لنا عمران العتبات المقدسة ، وكيف كانت في تلك المرحلة ، ومن الذي أسهم في اعمارها ، وكانت طريقة تناوله للمعلومات مثيرة للاهتمام ، إذ امتلك أبي طالب خان معلومات لابأس بها عن الاحداث التاريخية التي مرّ بها العراق ، فضلاً عن نقده للكثير من الظواهر التي شاهدها ، والتي تعد شاهداً حياً على تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق الحديث ، تكون هذا البحث من محورين ، إذ تناولنا في المحور الأول منه حياة أبي طالب خان ، والمحور الثاني تطرق إلى رحلة أبي طالب خان إلى العتبات المقدسة في بغداد وسامراء وكربلاء والنجف الأشرف .

*الناشر الرئيسي : E-mail : assadhameed@mu.edu.iq

المحور الأول: حياة أبي طالب خان (1166-1213هـ/1753-1805م)[1]

هو أبو طالب بن محمد خان ، كان أباه يُلقب بـ(حاجي خليفة) ، أو (حاجي محمد بيك خان) ، ولد أبوطالب خان عام 1753 في لكنو عاصمة إقليم أوده الواقع في شمال الهند ، أما أصل والده فمن اصفهان في إيران هاجر الى الهند في عهد نادر شاه(1736-1747) ، وكان أول ورود حاجي بيك على اقليم أوده في عهد حاكمها صفدر جنك ، فأحسن استقباله ووظفه لديه ، وقد ظهرت علامات النجابة والذكاء على أبي طالب ، كما تربى على يد وجهاء القزلباش في بلاط النواب ، وكانت لديه إجادة في قول الشعر ، وكان ينشد قصائد شعراء الفرس المشهورين مثل: سرائي وسنجي والخاقاني والانوري ، فضلاً عن حبه لكتابة التاريخ[2] ، وبعد وفاة صفدر تولى مكانه ولده شجاع الدولة عام 1753 ، وكان حاجي محمد يعمل تحت إمرة محمد قلي خان أبن أخ صفدر جنك ، وبسبب الخلافات الحادة بين شجاع وقلي ، فقد طال ذلك الخلاف أتباع الاخير وموظفيه ومنهم والد أبي طالب ، فأراد اعتقاله ، فلما علم حاجي بذلك سافر مع عائلته الى البنغال ، وبقي هناك ، حتى وفاته عام 1768 ، لكن شجاع الدولة أظهر اهتماماً بعائلة حاجي محمد وطلب من والدة أبي طالب تهذيبه وتعليمه[3].

إكتسب أبو طالب خان خبرات جيدة في العمل السياسي والاداري والعسكري ، من خلال تنقله في العمل في بلاط نواب البنغال ، الذي عمل به سنين عدة ثم عاد الى لكنو في عهد (مسعود الاودي)[4] ، بدعوه من وزيره مختار الدولة[5] ، فعينه علمدار على منطقة ايتايا ومناطق أخرى بين نهري جمنا والغانج ، وتلك الوظيفة أعتمدت على القوة العسكرية في جمع الضرائب ، كان أبو طالب دائم التنقل لمدة ثلاث سنوات في تلك الوظيفة ، ونتيجة لاضطراب الاوضاع الاقتصادية في أوده ومانتج عنه من اضطراب سياسي ، فقد حصلت عدة تمردات من قبل ملاكي الاراضي ، وكان أبو طالب خان على علاقة جيدة بالجانب البريطاني الذي كان يستشيره في العديد من الامور ، كما حصل عندما استشاره ميدلتون[6] المقيم السامي في لكنو حول كيفية التعامل مع تمرد راجا بولبودر سنك ، فقاد أبو طالب خان بنفسه الحملة العسكرية ضده وهزمه[7].

هنا لابد من التوقف وتوضيح بعض الامور ، فهنالك تقديم وتأخير في سرد الاحداث ، فمدليتون كان المقيم البريطاني السامي في لكنو في عهد شجاع الدولة وليس آصف الدولة ، خاصة وإن أبي طالب أو مترجمي سيرته قد انتقلوا للحديث عنه في عهد صفدر ، فشجاع ثم آصف الدولة ، والان عادوا لذكر بعض الاحداث في عهد شجاع .

يبدو أن مصير أبي طالب كان مرتبطاً بمصير حكام شركة الهند الشرقية والمقيمين السامين في لكنو، لانه كان يعتمد على دعمهم له ، لذا فقد أبي طالب مكانته السياسية ووظيفته بعد مغادرة ميدلتون المقيم السامي لكنو ، والحاكم العام للشركة وارن هاستنك Warren Hasting [8] الذي غادر الى كلكتا عام 1787 مقر الشركة الرئيس في الهند ، وقد تبع أبي طالب هاستنك ليقدم شكواه الى الحاكم الجديد كورنواليس Charles Cornwallis[9] ، الذي وعده بالدعم والحماية ، لكنه كان عازماً على السفر الى جنوب الهند لحرب سلطان ميسور تيبو سلطان[10] ، وعند عودة كورنواليس أرسل ابو طالب الى لكنو عام 1792 مع كتاب توصية الى المقيم في لكنو جيري Pondi Cherry[11] والنواب آصف الدولة ، لكن كورنواليس غادر الهند ، فضلاً عن تدهور العلاقة بين آصف الدولة والشركة ، جعل آصفاً يصدر أمراً بإبعاد أبي طالب من المدينة ، وكان آصف يريد تعيين أبو طالب خان نائباً عنه ، ولكن أعداء أبي طالب أخبروا آصف الدولة أنه جاسوس لدى البريطانيين ، فعدل النواب عن ذلك[12] ، فعاد أبي طالب الى كلكتا عام 1795 للقاء جون شور الحاكم العام للشركة ، لكن انشغال الاخير بشؤون الحكم فوت الفرصة على أبي طالب في الحصول على مبتغاه ، فقد غادر شور الهند ، ونتيجة لذلك أصاب أبو طالب اليأس ، وبعد ثلاث

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

سنوات صعبة مرت عليه في كلكتا زاره صديقه الربان (داوود[13] رتشاردسون[14]) D.Richardson ، أحد ضباط المخابرات البريطانيين[15] في الهند ، وهو الذي أقنع أبو طالب خان للقيام بتلك الرحلة الى أوربا فرافقه بين عامي 1799 و 1802 ، ويبدو أن مؤهلات أبو طالب خان ، كجامع للضرائب وباحث فارسي مرتبط باقليم أوده خلال مرحلة كانت الشركة فيها تريد زيادة سيطرتها على ذلك ، لهذا وبسبب إرتباطه الوثيق بالمصالح البريطانية ، فلربما تكون الشركة قد رعت رحلته ، على الأرجح بهدف كسبه إلى جانبها ضماناً لمصالح المستقبلية في أوده ، وإلا لماذا يقوم ضابط مخابرات بدعوة مواطن محلي لمرافقته إلى بريطانيا ، وقد رافق ريتشاردسون أبو طالب في طريق الذهاب ، وافترق عنه في دبلن ، وتركه يعود لوحده[16] ، وقد ذكر أبو طالب بعض تفاصيل شروعه بالرحلة ، فقال:" ... في أوائل عام 1799جاء صديقي الكابتن ديفيد ريتشاردسون ، وهو اسكوتلندي[17] لزيارتي ، ونظراً لأن هذا الرجل النبيل يفهم تماماً اللغتين الفارسية والهندوستانية ، فقد تحدثنا في مواضيع مختلفة وأخبرني بإسهاب أنه بسبب سوء حالته الصحية ، فقد قصد السفر إلى أوروبا ؛ على أمل أن يكون شفائه في موطنه الأصلي وأنه يجب أن يعود إلى الهند في غضون ثلاث سنوات وأضاف: "بما أنه لاعمل لديك وتبدو مكتئباً ، أسمح لي أن أطلب منك مرافقتي ، فإن في ذلك تغييراً للاجواء ، كما إن النظر الى عجائب أوربا وغرائبها يُبعدان عنك اليأس ، ويزيل الكآبة التي تخيم عليك الآن ، وأتعهد بتعليمك اللغة الإنكليزية أثناء الرحلة ، وتوفير كل ما تريده ".

في شباط من عام 1799، صعدا ريتشاردسون وأبو طالب على متن السفينة الدنماركية (كريستيانا) وكانت سفينة قديمة أوصلتهم حتى كيب تاونCape Twonفي جنوب أفريقيا، لكنهما كانا محبطين للغاية من السفينة وقبطانها لدرجة أنهما انتظرا في كيب من أجل السفينة البريطانية (إنديا مان) ، التي استقلاها في أواخر أيلول 1799 وقد وصلا أخيراً إلى كورك Cork ، وفي أيلول أثناء تواجدهما في كيب تاون ، كان أبو طالب وديفيد ريتشاردسون في كيب تاون بصحبة الرائدة الليدي آن بارنارد Anne Barnard[18]، التي تأثرت بشخصيتي ريتشاردسون وأبي طالب بما يكفي لتكتب إلى اللورد دونداس Dundas (وزير الحرب في حكومة ويليام بيتWilliam Pitt) : " لقد أرسلت بضع رسائل تعريف مع النقيب ريتشاردسون وخان صاحب [أبو طالب] ، الأول : هو رجل متعلم وذكي عاد من أجل وضعه الصحي بشكل رئيسي بعد عشرين عاماً قضاها في الهند ، إنه شخص محترم جدًا وهو برفقة خان صاحب ، وهو زعيم فارسي ورجل ذكي مقبول وصالح ، فضلاً عن كونه أديباً أيضاً ، إنه لشرف أن يكون صديقاً خاصاً للورد كورنواليس ويسافر بشكل أساسي لرؤية العالم ، وربما يجمع بين بعض الدوافع الأخرى التي سوف ينقلها إلى اللورد كورنواليس"[19].

المحور الثاني : رحلة أبي طالب خان إلى الأضرحة المقدسة لأهل البيت (عليهم السلام) في العراق

كما ذكرنا فإن الوجهة الاساسية لابي طالب خان كانت أوربا ، لذا فإنه اتجه مباشرة من الهند الى أوربا عبر المحيط الهندي فالهادي ، ثم دار حول رأس الرجاء الصالح ، فالمحيط الاطلسي ليدخل أوربا عبر ايرلندا[20].

لقد تضمنت رحلة أبو طالب خان إلى المدن المقدسة وزيارته للأضرحة فيها معلومات مهمة جداً تتعلق بوصفها ، والخدمات الموجودة في تلك المدن وبعض المعلومات عن أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وسيقتصر ذكرنا لتلك الرحلة قدر تعلق الامر بموضوع البحث.

وصول أبي طالب خان إلى بغداد وزيارة الامامين الكاظم والجواد(عليهما السلام)

دخل أبو طالب العراق في طريق عودته إلى الهند ، فمر بمدنه الرئيسية سيما المدن التي ضمت مراقد أهل البيت(عليهم السلام) ، وقد وصل إلى بغداد في الأول من شوال 1218هـ ،

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

الموافق السابع والعشرين من كانون الثاني 1803 م ، فذكر لنا ما نصه:

"....إن شهرة بغداد والبصرة والنجف ومدن أخرى في (البلاد الفارسية)[21]عظيمة جداً، وأنا أستطيع أن أؤكد أني لم أشاهد منذ سفري من القسطنطينية حتى وصولي إلى البصرة داراً تجتذب واحداً من اللكنويين من سكان لكنو إلى سكناها غير دار أغا جعفر في كربلاء...."

".... لقد كانت غايتي بسلوكي هذا الطريق أن أزور بقايا أجساد الشهداء والأولياء من مذهبنا مذهب المسلمين الشيعة ، وزيارة عدة قبور لأجدادي الصالحين الأتقياء من ذرية النبي ، وقد خصصت القسم الأكبر من وقت إقامتي ببغداد لهذا الواجب المقدس، وأشهر المشاهد مشاهد (التسعة والسبعين إماماً)[22] ، أم المشهد المشهور بإسم (كازم/الكاظم) ومنه أخذ أسم (الكازمين/الكاظمين) الذي أُطلق على المشهد الذي هما فيه، ..... وقد سكن إلى جانب المشهد في محلة كبيرة أجانب من الفرس والهنود ، ويحيط بها سور من الرهص ، والمسافة بين بغداد والمشهد غير قصيرة ، ولذلك يوجد دائماً في جانب الجسر الغربي عدة مئات من الحمير والبغال مسرجة وملجمة يستطيع الإنسان أن يستأجر منها بنقد قليل، فإذا وصل إلى باب مدخل الكاظمين وجد شخصاً يلزم بعناية مطيته ، وإن قبة المشهد وكذلك قبة مشهد كربلاء شيدت مجدداً قبل عدة سنين ، وطبقت بطابق مذهب بنفقات محمد خان قاجار إمبراطور البلاد الفارسية، أما الصحن والسور والأبواب والسوق فقد أعيد تشييدها بنفقات النواب (الأخير)[23] آصف الدولة وزير هندستان، ..... والمشهد وإن كان أقل فخامة من مشهد كربلاء ، إلا أنه جميل وواسع ، والقبة التي تضيئه مغلفة بأوراقاً (صفائح) من الذهب[24]، وسمكها جعلها مرئية من مسافة خمسة فراسخ ، وداخل المشهد مرصع بالآجر الملون ، فلذلك يُحدث تأثيراً جميلاً في النظر، وهذا النوع من الزينة البنائية مُخترع في هذه البلاد ، ولم يدخل بعد في أوروبا ولا في الهند، وأنا أراه أفضل من كل ضرب من التزويق بالأصباغ وبالتذهيب ، وهذا الآجر يمثل أوراداً وأشياء أخرى ، وعليه كتابات بحروف جميلة كل الجمال ، وأوجز القول بأنها تقوم بكل ما يستطيع قلم المزوّق من رسوم خيالية ، وأقسام المشهد المختلفة قد جمعت جمعاً فنياً بحيث مثلت كلها -كما ظهر-كلاً واحداً ، لا يقربه إتلاف الزمان ، وفي صحن المدخل قبة مشتملة على رِمم[25] وأبنين من أبناء الأئمة[26]، وقد جرت العادة بالصلاة عند قبورهما، وحراسة المشهد موكولة إلى ناظر وعدة خدام ، ومع أن هذا الموضع غير بعيد من بغداد .....، والمتدينون من الشيعة يستطيعون الصلاة فيه بحسب مذهبهم ، وقديماً كانت جمهرة من هؤلاء الشيعة مقيمين بجوار هذه المشاهد وفي سامراء والنجف وكربلاء ،... إن العدد الكبير للزوار الذين يجتذبهم النُسك والتقوى إلى هذه المواضع يصرفون كثيراً من المال فيها ، فيزيدون زيادة كبيرة واردات الحكومة ، إن أمراء هندوستان ، وملوك البلاد الفارسية جرت عادتهم بأن يبعثوا إلى هذه المواضع بهدايا عظيمة ، ويُستنتج من هذا أننا مدينون قبل شيء لهذا التسامح وهذا التجمل اللذين نتمتع بهما لبخل الأتراك- والأتراك لتجافيهم عن احترام هذه المواضع المقدسة يسلبون ماعند فقراء الزوار ويُحدثون لهم تنكيداً مستمراً، فقبل سنوات مثلاً كان هنالك معبر في قسم ضيق من نهر دجلة ، وفي مقابله قرية جليلة[27]، فرأى سكان القرية من المناسب لأحوالهم أن يشكوا إلى باشا بغداد المحاذير التي[28] تجري عليهم من الزحام المفرط للزوار الذين يسلكون هذا المعبر، وطلبوا إليه أن ترسو سفن العبور (التي تنقل الزائرين) في موضع غير ذلك الذي كان ترسو فيه ، فتقبل الباشا وقد أعماه تعصبه عن شكواهم الجائرة قبولاً حسناً، وأجبر الملاحين على الرسو في موضع أوسع مايكون النهر فيه ، وبالقرب من موضع لا يستطيع السياح أن ينالوا أقل ترفيه فيه في مساحة مقدارها ثمانية أميال، وكانت نتيجة هذا الأمر أن السفن لم تستطع بعد ذلك عبور النهر إلا مرة واحدة[29] في اليوم ، وإن الزوار كانوا يضطرون إلى الانتظار على ضفة النهر عدة ساعات وأحياناً عدة أيام كاملة ، إن تقوى

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

الشيعة بعثهم على أن يشيدوا خانات للقوافل المارة في هذا الطريق للعناية بأحوال الزوار، ولكن الأتراك بسبب تواصل مضايقتهم فقد أضطروا جميع التجار المقيمين فيها(الخانات) إلى المغادرة ، فأصبحت الفائدة من هذه الخانات محدودة جداً"[30].

"ولم أجد مشهداً من هذه المشاهد التي ذكرتها مضاءً بطريقة ملائمة مقبولة بالليل، ولا يمكن أن ينسب هذا الإهمال ، إلا إلى الأتراك لسوء نواياهم ومقاصدهم أو تهاون الحراس وتغافلهم ، وإن مشهد الكاظمين ومشهد النجف ومشهد كربلاء ، ليس فيها بالليل من الضوء ، إلا وميض من مصابيح قليلة ، وفي سامراء تسد أبواب المشهد عند غروب الشمس، وبذلك يُمنع الأتقياء من الذهاب إليه للصلاة فيه في الساعات التي تجب فيها ، وقد أبكاني هذا الأمر، ولقد رأيت وفي من الألم ما في قبر أحد أئمتنا وقادتنا الروحانيين ليست فيه من الاضاءة ، إلا أقل من نصف الاضاءة الموجودة دائماً في مشاهد أولياء مزعومين في هندستان، مثل مسعود غازي في كوروك بور وشاه مدار في كنوج"[31].

وصول أبي طالب خان إلى سامراء وزيارة ضريح الامامين العسكريين(عليهما السلام)

كانت مدينة سامراء هي المدينة المقدسة الثانية التي زارها أبو طالب خان ، فوصلها في الخامس عشر من شوال 1218هـ ، الموافق الحادي عشر من شباط 1803م ، وقد أشار في مستهل حديثه عن توجهه الى سامراء بأن الهدف من رحلته الى تلك المدينة كان زيارة الامامين العسكريين (عليهما السلام) ، سيما وانه قبل ذلك قد زار الامامين الكاظمين (عليهما السلام) ، على أن يتوجه بعد سامراء الى النجف وكربلاء للزيارة كذلك ، وقد تجهز وأعد العدة اللازمة وذكر مانصه :

"بعد أن زرت المواضع المقدسة ببغداد وما حولها ، عزمت على زيارة الأضرحة المقدسة في سامراء وكربلاء والنجف ، ولذلك اكتريت خيلاً ، وفي نحو اليوم الخامس عشر من شوال 1218هـ الموافق الحادي عشر من شباط1803عبرنا نهر دجلة وصعدنا في الطريق الذي كنت أسير فيه في خلال الايام الثلاثة الاخيرة من سفرة القسطنطينية ، ووصلت سامراء في اليوم الخامس قبل غروب الشمس ، ولو كنت استعملت في هذا الامر في طريق قره تبة لاغناني ذلك عن المتاعب ، فسامراء على مسافة أربع وعشرين ميلاً من قرة تبة ، وكنت استطيع المرور بها بسهولة في ذهابي الى بغداد ، ولكن ثواب هذه السفرة يجب أن يُقاس بمدى المشقة فيها ، وكان المطر ينهمر طيلة الطريق ، ومن زيادة البلية عليَ أن الدليل الذي أرسله باشا بغداد[32] معي ليدلني كان سنياً متعصباً ، فكان يهوى تنكيد الشيعة في كل موضع نمر فيه .....وفي اليوم الثالث ذهبت في اثناء سلوكي الطريق الاقدم لتقديم إحترامي الى قبر إبراهيم أبن مالك الاشتر ، وهو قائد مشهور من نسل صهر محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)[33] ، وقبر محمد بن الامام علي الهادي الذي يحترمه الناس حتى انهم لايُقسمون إلا باسمه ، وكنا إذن جد متأخرين حين وصلنا إلى ضفة دجلة ، وفي هذا الحين يكون النهر عميقاً دائماً وسريع الجريان ، وكان يجب علينا عبوره ، ولذلك ركبنا سفينة مخرفّة(قديمة جداً) يظهر على ملاحيها أنهم يجهلون صنعتهم كل الجهل ، فالمطر هاطلاً والريح عاصفة بشدة في نحو معاكس لوجهتنا ، ضيع جميع جهودنا سدى ، وبعد أن تعبنا ساعة اضطررنا إلى أن نعود الى ضفة النهر ، واضطررنا أيضاً أن نرجع أدراجنا إلى مسافة ثلاثين ميلاً والارتفاع إلى قرية بلد ، ولم نستطع أن نحصل فيها إلا على سررٍ نوم رديئة لا تناسب مقاسنا ، وفي اليوم الرابع عدنا إلى ضفة النهر ومن هناك عبرنا بعد أن خاطرنا بانفسنا ، ونزلنا الى الضفة الاخرى قبيل غروب الشمس.....أما مشهد الامام علي الهادي الذي شيده احمد خان الدنبيلي[34] ، وقبة الضريح تفوق قباب كربلاء في السمك والمتانة والقوة وقبة الكاظمين أيضا ، ولكن المهندس المعمار لم يكن كمعمار تلك القبب في الرشاقة والاناقة ، والقبة غير مذهبة ، وداخل المشهد حوى صندوقاً من الخشب أي تابوتاً غطى أربعة قبور لاربعة أشخاص هم:الامام علي الهادي ، والامام الحسن العسكري ، ونرجس خاتون ، أم الامام المهدي الإمام الثاني عشر، وأبنة لعلي الهادي الإمام

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

العاشر ، وعلى مسافة رمية سهم من المشهد تُرى المغارة التي اختفى فيها الامام المهدي الذي ينتظر اتقياء الشيعة عودته ، وهذه المغارة لم تتغير قط ، وإنما شُيدت عليها لصيانتها ، وفي اليوم الثاني زارني ناظر المشهد السيد خليل وكان سني المذهب وقد أظهر لي كثيراً من الرعاية والحفاوة ....وبعد أن أتممت جميع الواجبات الدينية المقررة عدت سالكاً الطريق إلى بغداد ، وقد استغرقنا إثنا عشر يوماً في الطريق بسبب الامطار ، وفي العادة فإن المسافة من بغداد إلى سامراء تستغرق ستت أيام فقط"[35].

وصول أبي طالب خان إلى كربلاء وزيارة ضريح الامام الحسين(عليه السلام)

بعد زيارته الامامين العسكريين(عليهما السلام) توجه أبو طالب عائداً الى مدينة بغداد ومنها توجه إلى مدينة كربلاء ، فوصلها في الرابع من ذي القعدة 1218هـ ، الموافق الاول من آذار 1803م ، ولكنه هذه المرة لم يُعلم علي باشا الكهية بوجهته ، ولم يذكر سبب ذلك ، وقد يكون السبب هو انه كان يتضايق من المرافقين الذين أرسلهم الباشا معه ، وقد نقل لنا تفاصيل مهمة عن المدينة وأضرحتها المقدسة:

"...في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة 1218هـ ، الموافق لليوم الأول من آذار سنة 1803م بعد إقامتي ببغداد ثمانية أيام ، إستأنفت سفري لزيارة مشهد كربلاء ومشهد النجف الأشرف ، وفي هذه المرة لم أُعلم الباشا بنيتي وخطتي فاكتريت بشكل سري خيلاً وبغالاً من صاحبها ، واتفقت معه على أن يرافقني ، ولم ألاقي صعوبة في سفري ، ولقيت حفاوة من كل من لقيني في أي موضع أمر به في طريقي، وابتهجت بلقاء قاضي كربلاء ملا عثمان وكان عائداً إلى كربلاء ، وكان رجلاً سنياً ، ولكنه كان قد تفقه وتثقف وتعلم علماً جليلاً، وكان بريئاً من أوهام الأحكام التي يحكم بها الطغاة قبل الاستعلام ، وظهر لي أنه سُر سروراً عظيماً بلقائي ورجا مني أن أكون رفيقه في السفر ، وفي الطريق من بغداد إلى النجف رأيت بين كل ثمانية أميال خانات مسافرين مبنية بالآجر تشبه حصوناً ، ولكنّها يندر أن يقيم فيها المسافرون ، وفي اليوم الأول سرنا أربعين ميلاً وقضينا الليل في خان المزراقجي ، ثم إلى كربلاء في نحو الساعة الثالثة من اليوم الثاني ونزلت في دار السيد حمزة وكنت عرفت ابن أخيه في مقصود أباد في البنغال وكنت أتمنى أن أراه ثانية بكربلاء ، ولكنه توفي قبل وصولي إليها بعدة أشهر، ومع ذلك فقد استقبلني والداه إستقبالاً حسناً، وأعاناني على إتمام مختلف مناسك الزيارة ، وتلقاني حاكم كربلاء أمين أغا بكثير من الأدب ودعاني مرتين إلى الغداء معه ، وأعد لي خيلاً لأسافر إلى النجف، ورغب في دفع كرائها، ولما كان ذلك يحرمني ثواب الزيارة لم أقبل قط هذا البذل ، ولقيت في كربلاء عمتي (كربلائي بيكوم) وعدة نساء من توابعها، وكان شقاء أسرتنا قد اضطرهن إلى اعتزال العالم فجئن يقضين أيامهن الباقية في الارض المقدسة.. إن الوهابيين كانوا قد سلبوا منهن ما يملكن ، فقدمت لهن العون المالي بحسب استطاعتي ، وقد رمم ملك بلاد الفرس محمد خان القاجاري قبل عدة سنين بنفقاته صحن مشهد كربلاء وتربته ، والقبة كلها مغطات بصفائح من ذهب ، وداخل المشهد مزوق بالتزاويق والتذاهيب ، وقد جيء من بلاد الفرس خاصة بأشهر الصاغة والمزوقين والمصورين من أجل ذلك ، وجسد أمير الشهداء الحسين بن علي سبط النبي محمد(صلى الله عيله وآله) مدفون في وسط البنيان في تابوت من الفولاذ مغطى بصفائح ذهب منزلة فيه ، وفي صحن المشهد قبور ستين شهيداً[36] استشهدوا مع الحسين ، وعلى بعد ربع ميل يقع قبر العباس[37] ، وعلى أربعة أميال من المشهد قبر محفور تحت الموضع الذي قتل فيه الشهداء ، ومن هذا الموضع يستخرجون (التُربة) المقدسة من أرض كربلاء ويبعثون بها إلى جميع أنحاء الدنيا ، وقد رأيت أيضاً الموضع الذي نصب فيه الإمام زين العابدين خيمته يوم الوقيعة ، وقد بنت الأميرة زوج النواب الأخير للكنو آصف الدولة مقاماً رائع البنيان ، وبدأت هذه الأميرة أيضاً في بعض نواحي كربلاء بإنشاء خان مسافرين، ولكن وفاة النواب اضطرتها إلى العدول عن ذلك ، وقد اعتاد الزوار أن يزوروا قبر شهيد من الشهداء على مسافة ثمانية أميال من

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

كربلاء[38] ، ولكني لم أجرؤ على الاقتراب منه خوفاً من أن يعتقلني قطاع الطريق الذين يطوفون في ذلك الصقع مرتدين أردية الوهابيين، وقد أدير على كربلاء سور من الطين ، دخل منه الوهابيون[39] غير محصن وكانت مقاماً لكثير من التجار الأثرياء ولكنّها بعد أن نهب الوهابيون ما فيها[40] أخذت تفقد كل يوم مكانتها، وأخذ أعيانها يتركونها أيضاً، وهذا النهب وقع قبل سبعة أشهر من بلوغي إياها ، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة 1217هـ الموافق لنيسان سنة 1802م ، بينما كان معظم أتقياء السكان بكربلاء في زيارة مشهد النجف خرج خمسة وعشرون ألف وهابي على خيل وجمال عربية بغتة من الصحراء ودخلوا المدينة وساعدوهم على ذلك أشخاص من الغاوين ، وكان الوهابيون يصرخون للتأليب والتخريب قائلين : "اقتلوا الشيعة واقطعوا رقاب الكفرة" ، فذبحوا السكان ونهبوا ما في منازلهم وحاولوا أن يقلعوا صفائح الذهب من المشهد ولكنها كانت مثبتة جيداً فلم يستطيعوا ذلك ، ومع ذلك فلم يتحرجوا من تخريب المشاهد والعبث بالقبور الأخرى ، ثم انصرفوا من تلقاء أنفسهم في أفول الشمس ، وقد أُتهم حاكم كربلاء عمر أغا وكان ذا اعتقادات باطلة جداً، بمواطأة الوهابيين والميل إلى فسادهم ، بدلالة أنه عند أول الأمر هرب إلى قرية مجاورة لكربلاء من غير أن يقاومهم البتة ، فدعي إلى محكمة وحوكم وأصدر سليمان باشا عليه حكماً بإعدامه فأعدم ، وقد قتل الوهابيون في الوقت القليل الذي لبثوه في المدينة خمسة آلاف إنسان ، وجرحوا عشرة آلاف آخرين ، وقد أخذوا الذهب والفضة والأشياء الأخرى الثمينة التي وجدوها، وهذا الحادث لا يزال على حداثته ، فلا يتكلم الناس على غيره ، ولا يتحدثون بما سواه من الحوادث ، وحكاية هذه القسوة والوحشية الوهابية أقفَّت شعر رأسي إقفافاً، ويظهر مع ذلك أن سكان كربلاء كانوا سالكين سبيل الجبن والنذالة وجعلهم يستسلمون للذبح من غير أن يدافعوا ، ولما خرج الوهابيون عن المدينة استفاد العرب المجاورون لكربلاء من الذعر الذي عم تلك النواحي والبلاد فدخلوا المدينة وانتهبوا جميع ماتركه الوهابيون ، وقتلوا أيضاً عدداً كبيراً من السكان ولبثوا في المدينة نهارين وليلة واحدة"[41].

وصول أبي طالب خان إلى النجف الاشرف وزيارة ضريح الامام علي(عليه السلام)

بلغ أبي طالب مقصده الأخير وهو النجف الاشرف في اليوم الثاني الذي انطلق من كربلاء ، التي يبدو أنه بقي بها يوم واحد فقط ، ولايُعرف سبب عجلته هنا ، فوصل الحلة في نفس اليوم وهو الاول من آذار 1803 ، ولم يذكر متى بلغ النجف ، لذا من المرجح ان يكون قد وصلها في اليوم الثاني من آذار ، وقبل أن يسرد أبو طالب تفاصيل زيارته إلى النجف وضريح الامام علي(عليه السلام) تكلم عن خط سيره والمكان الذي دخل منه إلى المدينة ، ومعلومات حول صِلات نواب أوده بالنجف الاشرف ، وأعمالهم التي قاموا بها في المدينة فذكر مانصه:

"...عندما أتممت واجبات زيارتي بكربلاء سافرت إلى النجف على طريق الحلة، فوصلت إليها في اليوم بعينه ، وفي هذه المدينة الأخيرة التي هي على مسافة ستة عشر فرسخاً رأيت في طريقي قناتين ، الأولى تسمى (النهر الحسيني) ، وكان السلطان مراد[42] أمر بحفرها لإيصال ماء الفرات إلى كربلا ، والثانية تُسمى (نهر الهندي) أو الآصفي لأن النواب آصف الدولة أمر بحفرها بنفقاته وهي أوسع من النهر الحسيني ، وكان يراد بها إرواء النجف موضع ضريح الامام علي ، وهذه القناة بلغت حتى الآن عليها عشرة ألكاك[43] من الربيات..... ولكن باشا بغداد والناظر في شؤون القناة جعلاها تمر بالكوفة وعدة مدن أخرى ، بحيث لا تزال بعيدة عن الوصول إلى موضعها المقصود بدلاً من حفرها بخط مستقيم ، ومع هذا فالأعمال متواصلة دائماً[44]، فإذا انتهت استمدت القناة الماء من الفرات ، وسارت في المجرى القديم لنهر (النيل)[45] الذي هو جاف الآن، وكان هذا النهر في السابق واسعاً ، سعة نهر دجلة تقريباً ، حتى يبلغ جدران[46] النجف ويصب في الفرات بعد أن يدور دورة كبيرة ، وهذا المشروع الجميل الذي قام به نواب لكنو الذي يعيش حالياً يصب في صالح جمهرة من

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

الفقراء حتى آخر العصور ، ويخصب بلادهم التي صهرتها حرارة الشمس منذ زمن طويل ، فإن كانت ترجمات الشعوب وصلوات الصديقين تستطيع إراحة أرواح الموتى فلا حق لأحد فيها أعظم من حق النواب المذكور، وليس سكان العراق بمنكري فضله ، ففي كل يوم يدعون له بالسلام، ولا يذكرون اسمه إلا مع إعجاب فائق واعتراف رائق"[47].

ثم شرع أبو طالب بسرد تفاصيل دخوله إلى النجف ، فذكر ملاحظات مهمة عن موقع المدينة ، وشيئاً من تاريخها المعاصر له هو ، كما وصف ضريح الامام علي(عليه السلام) ، فذكر ما نصه: "....نشأت النجف في أرض سهليه وأرضها خليط من الصلصال والرمل، وفيها كثير من الأزهار والأشجار، ويمكن أن أقدر موازنتها ، لخصبها مقارنة بأرض الكاب في أفريقيا ، وفي نواحيها أرض مرتفعة وخصوصاً مجاري أنهار جافة ، ويخرج بخار غليظ يمثل من بعيد سماطاً من الماء في الظاهر (السراب) ، وهذا الحادث الحسي المألوف جداً في جزيرة العرب وبلاد التتار ، وقد خدع غالباً المتعبين من السفر الذين يبحثون عما يطفيء عطشهم المضني ، وقد أحيط بالنجف سور ذو بدنات في زواياه ، ولما تهددها الوهابيون بالهجوم أرسل النواب آصف الدولة مبلغاً عظيماً من المال لفقراء المدينة ، فجمعهم حاكمها في الحال وقال لهم إنه بدلاً من أن يوزع فيهم هذا المال ، كما جرت العادة فهو يقترح عليهم أن ينفقوه في حفر خندق محكم يحفظهم من هجمات أعدائهم فوافقوا في الحين ، وفي أثناء إقامتي بالنجف كانت الأعمال في ذلك مستمرة بنشاط ، وقبر علي صهر النبي (صلى الله عليه وآله) وأول الأئمة وكذلك الغرف التي تحيط بالصحن وباب المدخل مشيدة بهندسة معمارية أنيقة والقبة والأبراج المغشاة بالقرميد المذهب قد أعيد بناؤها على يد أحد المقربين من نادر شاه ، وقد غطوا القبة من الداخل بالقرميد الملون وكذلك جدران المباني المجاورة له، وقبالة المشهد دكة واسعة من المرمر الأبيض وعليها يستريح الزوار، وأبواب المشهد والقبر نفسه مصنوع من الفضة ، وقد بُعث إلى الكاظمين بقسم كبير من الأشياء الثمينة التي زينت المشهد ، ومع ذلك لا يزال يضم بُسط فاخرة هذا المشهد، ومصابيح من الفضة وشمعدانات ذات أثمان غالية ، والزوار الصالحون بعد أن يقوموا بواجب زيارة القبر يأوون إلى زاوية من زوايا المشهد ويقرؤون مرثية في الحسين وكلاماً في مناقبه ، وكان ابنه زين العابدين ، كما قيل قد جاء برأسه من الشام ودفنه في هذا الموضع ، وهذا الاحتفال الديني إذا انتهى يمشي الزوار إلى القبر ويركعون مرتين إحتراماً لآدم ونوح فإنهما دفنا في هذا الموضع كما هو مؤكد"[48].

"وخارج القبر في الطريق المؤدي إلى الباب كان قد دفن الشاه عباس[49]، وفي الجانب الآخر من البنيان بالقرب من الدكة حيث يصلي الناس مسجد صغير فيه قبر محمد خان قاجار[50] آخر ملوك الفرس[51]، ويبخر عنده دائماً بعيدان الند والكافور في شمعدانات من الفضة ، وعند القبر أفراد أتقياء يقرؤون ليل نهار آيات من القرآن، وكل هذا التكريم لمحمد خان (ميتاً) موضع موقوف على مجد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[52] غاية في الخطأ ويدل على جهل ذريته[53]الفاحش ، ولدى دخولي إلى الضريح اعترتني رهبة قدسية ، وارتعشت جميع أعضائي ومع اعتمادي على أربعة أشخاص إذ ذاك قاسيت مشقة كبيرة في قضاء مناسك الزيارة ، وفي تلك الهنيهة وصل أعرابي ذو لحية بيضاء ، لم يمر عليها المشط طوال عمرها، وهي مسترسلة حتى حزامه وعليه قميص غليظ ، وعلى خصره قطعة من الجوخ[54] يدلان على أنه جاء من سفر بعيد، فدخل غير ملتفت إلى أحد، وبدلاً من أن يصلي الصلاة المقررة ديناً صاح :" يا أبا الحسين السلام عليك"[3] ، ومع ما فعل من سوء الأدب الظاهر كان إيمانه حياً قوياً جداً بحيث كانت دموعه تجري على وجنتيه ، وقد ظننت بادئ ذي بدء أن أبا الحسين أحد أصحابه وأنه كان نائماً عند الضريح وأراد إيقاظه ، فلما تأملته حاق التأمل حسدته على همته في الإيمان ، ولم أشك في أن دعاءه مقبول عند الله تعالى أكثر من دعائي ، وعلى مسافة قليلة من المشهد مقامان كبيران

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

موقوفان على ذكرى زين العابدين بن الحسين وصفوة الصوفة[55] ، ولكن الأتراك في جيش الموصل الذين جاؤوا في الزمن الأقرب للمحافظة على النجف من هجمات الوهابيين قد دنسوا هذه المواضع المقدسة بكل ضرب من الدنس ، وحافظ المشهد وهو حاكم النجف يدعى ملا محمود وكان رجلاً محترماً لمعرفته وتقواه ، وقد أوصلت إليه كتاباً من باشا بغداد فراعاني أعظم مراعاة ، وأعد لي مثوى قريباً من المشهد وخداماً يخدمونني..."

".....ومنذ سفري من القسطنطينية أقبلت في الغالب على التأمل وقد نظمت أثناء السفر مرثيتين في تمجيد علي والحسين ، وقد استكتبتهما ببغداد في ورق مذهب ثم علقتا بالنجف وكربلاء بالقرب من الإمامين العظيمين ، وحُفّاظ كل من المشهدين استحسنوا شعري ووعدوني بالاحتفاظ به شهادة على حرارة عقيدتي ، وبعد أن قضيت جميع واجباتي الدينية استعددت للرجوع إلى بغداد ، ولما كانت البلاد مسرحاً ومجالاً لغارات الوهابيين رأيت من الضروري سلوك الطريق الذي جئت فيه، وإن كان غيره أكثر استقامة منه وقد زرت النجف والحلة ومسجد الكوفة ، وقضيت الليلة الأولى بالحلة والثانية بكربلاء ، وبالثالثة وصلت سالماً صحيح البدن إلى بغداد"[56].

الخاتمة

1-مثلت زيارة أبي طالب خان إلى العتبات المقدسة في العراق ، هدفاً سامياً غاية في الأهمية ، بحيث يمكننا القول : أن أهمية رحلته بناءاً على الغرض الذي صرح به ، المتمثل بالتوجه إلى أوربا ، لغرض سياسي هو في جانب ، وزيارة العتبات المقدسة في العراق من الأهمية بمكان في جانب آخر ، بمعنى أن زيارته كانت لغرضين سياسي وروحي.

2-أكد أبو طالب خان من خلال زيارته أضرحة أهل البيت(عليهم السلام) على صحة إعتقاده ومذهبه الذي إنتمى إليه.

3-ذكر أبو طالب معلومات مهمة عن المدن المقدسة في العراق ، وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وحالة الفقر التي كان الناس يعيشونها.

4-ذكر معلومات قيمة عن عمران الأضرحة المقدسة ، ودور الدولة القاجارية وملوك الشيعة في الهند في إعمار تلك الاضرحة ، وإهداء الهدايا الثمينة تبجيلاً وتعظيماً للائمة.

5-أشار على نحو واضح إلى سياسة الدولة العثمانية التي أهملت العناية بتلك العتبات ، وأحوال قاطنيها ، رغم أنها تدر عليهم أموالاً كثيرة.

6-رغم أنه على إطلاع لابأس به بتاريخ المناطق التي زارها ، كونه مهتماً بالتاريخ ، إلا أنه كثيراً ما وقع في أخطاء تاريخية .

7-كان لمرافقة ومراقبة أبي طالب خان من قبل أجهزة الدولة العثمانية ، أثر كبير في تحفظه أثناء زيارته للعتبات المقدسة ، وقد يكون ذلك سبباً في إخفاءه لوجهته عن السلطات الرسمية في الأيام الأخيرة منها ، فضلاً عن شكواه المستمرة منهم ، ونقده لأسلوب تعاملهم مع السكان.

8-ذكر أبي طالب معلومات كثيرة عن الخدمات التي كانت تُقدم آنذاك ، فأشار على سبيل المثال أن الخانات الخاصة براحة المسافرين المنتشرة على الطرق المؤدية إلى العتبات المقدسة ، قد بُنيت من قبل الشيعة ، وإن الباعث وراء ذلك هو تدينهم وولائهم لأهل البيت (عليهم السلام) ، والعناية براحة الزوار.

9-كثيراً ما حمل أبي طالب خان على الأجهزة الأدارية والأمنية العثمانية ؛ بسبب سوء إدارتهم وقلة العناية بالمرافق العامة قرب الأضرحة المقدسة ، ولا غرابة في ذلك كونه ذو خبرة عسكرية وإدارية ، مرجعاً ذلك إلى سوء نواياهام وسياستهم الطائفية ، فعلى سبيل المثال أشر بشكل واضح ضعف السور المحيط بكربلاء وانه كان سبباً في الغزو الوهابي للمدينة ، وهروب حاكم المدينة العثماني مع أول وقوع الغزو، أو حالة الظلام الدامس الموجودة داخل الأضرحة المقدسة والمناطق القريبة منها.

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

الهوامش

1 ()عبدالحي الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج7 ، ط1 ، بيروت ، 1999، ص893.

2 ()محسن الامين ، اعيان الشيعة ، ج2 ، ط1 ، بيروت ، 1983، ص446.

3 ()محمد سعيد الطريحي ، أعلام الهند ، ج1 ، ط1، مكتبة مدبولي- القاهرة، 2008، ص 109.

4 ()لا يوجد في نواب أوده وملوكها من حمل أسم مسعود ، والاصح ان مختار الدولة كان وزيراً في عهد آصف الدولة(1775-1797) الذي تولى حكم أوده بعد والده شجاع الدولة ، وقد يكون السبب في ذلك الخطا هو الترجمات التي وضعت للرحلة؟، الباحث.

(5)هو مرتضى خان (مختار الدولة) رئيس وزراء آصف الدولة كان وزير غير كفوء لهذا المنصب ، وكانت لسياساته آثار سلبية على أوده منها قيامه بتسريح أعداد كبيرة من القادة العسكريين الأكفاء الموالين لشجاع الدولة نتيجة للخلاف الذي كان بينه وبين شجاع عندما كان الاخير حياً ، وقام بتعيين بدلاً عنهم عدداً من اقرباءه ومنح آخرين مناصب مهمة في الدولة ، وتسبب مختار بأضرار كبيرة في الجهاز الحكومي ، فضلاً عن أن مختار كان مبغوضاً من العديد من رجال البلاط ، وقد ختم سياساته بالتآمر على آصف الدولة إلى أن تم اغتياله في آذار 1776.للمزيد يُنظر:

Purnendu Basu, Oudh and The East India Company 1785-1801,Vol.i, Lucknow, 1943,P. 6.

6()نائانيل ميدلتون Nathaniel Middleton(1750-1807) :موظف مدني في شركة الهند الشرقية الانكليزية ، والده القس صمويل ميدلتون (1703-1758) ، عمل في الهند البريطانية ككاتب لشركة الهند الشرقية ، وفي عام 1773 عينه وارن هاستينغز مقيماً سامياً في بلاط اوده في عهد شجاع الدولة ، ترك ميدلتون الخدمة في شركة الهند الشرقية وعاد إلى انكلترا عام 1784 .

https://en.wikipedia.org/wiki/Nathaniel_Middleton

7 ()أبي طالب خان ، رحلة أبي طالب خان الى العراق واوربا ، ترجمة مصطفى جواد ، ط1 ، 2007 ، ص14.

8 ()وارن هاستنكWarren Hasting (1732-1818): التحق بخدمة شركة الهند الشرقية الانكليزية ككاتب عام 1750 ثم أصبح عضواً في مجلس إدارة الشركة في كلكتا للمدة (1761-1764) ، ثم عضوا في مجلس مدراس للمدة (1769-1772) ، ثم حاكماً للبنغال خلال المدة (1772-1774) ، ثم حاكماً عاماً لمقاطعات الشركة في الهند عام 1784، وكان تعيين هاستنك بداية لمرحلة جديدة في تاريخ شركة الهند الشرقية الانكليزية تمثل بتجريد الامبراطور المغولي من السيادة الشكلية وحكم البنغال بالاستناد إلى حق الاحتلال العسكري ، ووضع نظام عملي لإدارة البنغال وتمويل أعمال الشركة من العائدات الكمركية وأصلح ميزانيتها ، وقد قرر مجلس حكام شركة الهند الشرقية الاستغناء عن نظام الادارة الثنائي الذي أوجده كلايف عام 1772 ، فقام بطرد محمد رضا خان وراجا شيتاب راي Raja Shitab Rai ، وبدلاً من ذلك يقوم الحاكم ومجلس كلكتا بتشكيل مجلس الخزانة ، وتعين الشركة محاسبها الخاص لإدارة الشؤون المالية ، فضلاً عن نقله الخزينة من مرشد اباد الى كلكتا .للمزيد يُنظر:

B.L. Grove , Alka Mehta, A new Look at Modern Indian History, NewDelhi,2010.pp.70-82.

(9) تشارلس كورنواليس Charles Cornwallis (1738-1805) : ولد من عائلة ارستقراطية وتلقى تعليمه في كمبردج ، انظم في عام 1757 إلى الجيش البريطاني ، وفي عام 1762 دخل مجلس اللوردات ، كان له دور بارز في حرب الاستقلال الامريكية ، وقد حُوصرت قواته في يورك تاون York Twon من قبل قوات امريكية –فرنسية مشتركة واجبر على الاستسلام ، ورغم تلك الهزيمة لكنه بقي يحضى بثقة الحكومة البريطانية ، فأرسل الى الهند لتولي منصب الحاكم العام لممتلكات شركة الهند الشرقية فقام بأصلاحات كثيرة في مؤسساتها والاقاليم التابعة لها ، وهو أول من تولى منصب الحاكم العام للرئاسات الثلاث في كلكتا ومدراس وبومباي عام 1786فضلاً عن مهامه السياسية فقد قاد قوات شركة الهند الشرقية الانكليزية بين عامي (1789-1792)ضد ميسوري وهزم سلطانها تيبو في احدى المعارك ، وفي عام 1794 عاد إلى بريطانيا ليعين حاكماً على ايرلندا ، وقد واجه مشكلات كبيرة هناك منها التمرد في عام 1798 والغزو الفرنسي لايرلندا وكان له دور مهم في تحقيق الاتحاد بين بريطانيا وايرلندا ، وفي عام 1802 رأس الوفد الموقع على صلح اميان مع فرنسا ، ثم اعيد تعيينه حاكماً عاماً في الهند لكنه توفي بعد مدة قصيرة من وصوله عام 1805. للمزيد يُنظر :

Ann Kemmish, The Life of The Most Noble The Marquis Cornwallis, London N.D.

(10)تيبو ابن حيدر علي (1750-1799) ، هو حاكم أو سلطان ميسور في جنوب غرب الهند : ولد تيبو في عام 1750 في ديفنهالي Devanahalli بميسور ، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره خاض إلى جانب والده حيدرعلي الحرب ضد شركة الهند الشرقية في أربعة حروب خاضتها ميسور خلال المدد(1767-1769/1780-1784/1790-1792/1799سنة واحدة)،

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

وعندما خلف والده واصل طريقه في مواجهة الشركة ، وفي عام 1789 تحالف مع الفرنسيين وتمكن من تحقيق انتصارات عدة على قوات شركة الهند الشرقية ووسع من رقعة ممتلكاته ، لكنه هُزم عام 1792 على يد الحاكم العام تشارلز كورنواليس فأضطر إلى تسليم نصف ممتلكاته للشركة ، وفي عام 1799 زحف كل من الكولونيل آرثر ويليسلي Arther Wellesly ، والجنرال جون هايس John Hayes بدعم من المارثا بقوات كبيرة وهاجموا سرينجابوتا seringapatamu عاصمة تيبو وتمكنا من احتلالها وقُتل تيبوفي المعركة، وكان تيبو فضلاً عن كونه قائدأعسكرياً محنكاً ، شاعراً أتقن أكثر من لغة ، مؤمناً بالتعايش السلمي والعدل مع الرعية ، فرغم كون تيبو مسلماً ، فقد كان راعياً لبقية الاديان الاخرى فهو أول من بنى كنيسة في ميسوري بناءً على طلب الفرنسيين ، فضلاً عن رعايته الهندوس الذين يشكلون نسبة كبيرة من رعيته ، لقد كان تيبو مسلماً على المذهب الشيعي الامامي وقد سك عملاته النقدية بأسماء بعض أئمة أهل البيت(عليهم السلام) أمثال : إمامي ، حيدري ، جعفري ، كاظمي ، وقد اشتهر تيبو بألقاب عدة منها (نمر ميسوري). للمزيد يُنظر :

Meadows Taylor, Tippoo Sultaun, Vol .i-iii, London, 1840.

(11)بوندي جيريPondi Cherry ، هو نائب الحاكم العام لشركة الهند الشرقية في بنارس ، قُتل على يد وزير علي نواب أوده الذي قاد ثورة ضد النفوذ البريطاني في لكنو في 16كانون الثاني 1798 ، وكان جيري يروم اعتقال وزير ، فدعاه الى بنارس لاجراء مفاوضات لكن وزير أحس بالمؤامرة وطعن بسيفه جيري فأرداه قتيلا وقتل أيضاً ضابطين آخرين ، للمزيد يُنظر

: A.P.Bhatnagar, A.P. Bhatnagar, The Oudh Nights, First Edition, 2005.pp.114-115.

(12)محسن الامين ، المصدر السابق ، ج2، ص446.

(13) داود بالعبرية هو ديفيد ، وعلى هذا الاساس ذكره ابوطالب بذلك الاسم.الباحث .

14 ()ديفيد توماس ريتشاردسونDavid Thomas Richardson أحد ضباط قوات شركة الهند الشرقية وعالم هندوسي أسس كلية تدريب موظفي الشركة في باراسات ولد ديفيد توماس ريتشاردسون لعائلة اسكتلندية في عام 1779، إلتحق بخدمة شركة الهند الشرقية ، وخدم لاحقًا تحت قيادة العقيد (لاحقًا الجنرال) توماس ويندهام جودارد في الكتيبة الخامسة من السيبوي خلال حرب الشركة الاولى ضد المارثا ، ويبدو أن ريتشاردسون قد نُقل إلى عمل الاستخبارات العسكرية ، بناءً على معرفته بالفارسية والهندوستانية.

https://en.wikipedia.org/wiki/David_Thomas_Richardson

(15) للمزيد حول نشاط المخابرات البريطانية في الهند يُنظر:

William Muir, Records of The Intelligence Departmen of The Government of The North-West Provinces of India, Vol.i-ii, Edinburgh, 1902.

(16) Intelligence, an Assassination, East Indiamen and the Great Hurricane of 1808, http://www.victorianweb.org/history/empire/india

17 () لم يُشر مصطفى جواد إلى تلك الصفة في ترجمته للرحلة ، الباحث.

18() الليدي آن بارنارد (1750 - 1825) ، كاتبة وشاعرة ورحالة وفنانة وشخصية اجتماعية اسكتلندية ، عملت كسكرتيرة في الدائرة الاستعمارية البريطانية في رأس الرجاء الصالح الذي كان تحت الاحتلال البريطاني ، كان لإقامتها لمدة خمس سنوات في كيب تاون بجنوب إفريقيا ، على الرغم من قصر مدة إقامتها ، تأثير كبير على الحياة الثقافية والاجتماعية في ذلك الوقت ، وكان للرسائل والمذكرات التي كتبتها أهمية كبيرة كمصدر معلومات عن ثقافة وحياة المجتمعات هناك.

https://en.wikipedia.org/wiki/Lady_Anne_Barnard

(19) Intelligence, an Assassination,...Op,Cit.

20 () للمزيد حول وصول أبو طالب خان إلى أوربا ، ينظر رحلة أبي طالب ، ص33-257.

21 () كان العراق تحت الاحتلال العثماني في تلك المرحلة ، الباحث.

22 () إن عدد أئمة اهل البيت(عليهم السلام) كما هو معروف إثنا عشر إماماً ، وقد يكون ذلك من أخطاء الترجمات الكثيرة التي نُقلت إليها الرحلة ، بدليل أن أبي طالب ذكر اكثر من مرة عدد الائمة المعصومين بشكل صحيح.الباحث.

23 () يقصد الموجود في عهده ، وليس آخر نواب أوده واجد علي شاه ، الباحث.

(24) أي مغلفة بالصفائح الذهبية ، الباحث.

(25) بقايا العظام ، الباحث.

26() للاطلاع على دفناء الروضة الكاظمية المقدسة ، يُنظر: عبدالكريم الدباغ ، كواكب مشهد الكاظمين في القرنين الاخيرين ، ج1-ج2 ، ط1، منشورات الشؤون الفكرية في العتبة الكاظمية المقدسة ، 2010.

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

27 () يبدو ان سكان تلك المنطقة من ذوي النفوذ وعلى علاقة جيدة بالوالي كي يستجيب لمطالبهم ، الباحث.

(28) يبدو ان المقصود هو قرية مهمة ويسكنها عدد كبير من الناس ، فبعد مطالعة بعض خرائط مدينة الكاظمية لم نعثر على هكذا اسم ، الباحث.

(29) رحلة ابي طالب خان ....المصدر السابق ، ص258-260.

(30) حدث ذلك في عهد عمر باشا والي بغداد(1764-1775) ، رحلة ابي طالب خان ، ترجمة مصطفى جواد ، ص261.

31 () المصدر نفسه ، ص261.

32 () علي باشا الكهية(1802-1807).

33 () هنا وقع ابوطالب في خطأ تاريخي فمالك الاشتر كان قائداً لجيش الامام علي (عليه السلام)، الباحث.

34 () الأمير أحمد خان ابن الأمير مرتضى قلي خان الثاني ابن الأمير شهباز خان ابن الأمير مرتضى قلي خان الأول ابن علي خان الملقب بصفي قلي خان ابن بهروز خان الثاني الملقب بسلمان خان ابن أيوب خان بن كنعان خليفة بن الأمير بهروز الأول الملقب بسلمان خليفة بن الأمير رستم الملقب بشاه وردي بيك بن الأمير بهلول الملقب بحاجب بيك الثاني ابن قليج الملقب بحاجي بيك الأول الدنبلي ، قتل في عصر كريم خان الزندي سلطان إيران في القرن الثاني عشر ما بين سنة 1163- 1193، وحمل إلى سامراء ودفن خلف مشهد العسكريين عليه السلام ، للمزيد يُنظر محسن الامين ، المصدر السابق ، ج3 ، ص173.

35 () المصدر نفسه.

(36) أورد أبي طالب خان عدد الشهداء من الصحاب المدفونين قرب الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل صحيح ، وهو إثنين وسبعين شهيداً ، مثلما ورد في النسخة الفارسية من الرحلة . للمزيد يُنظر : أبوطالب بن محمد أصفهاني ، مسير طالبي ، به كوشش: حسين خديوجم ، جاب ششم ، انتشارا ت علمي وفرهنكي ، 1394هـ.ش ، ص408.

37 () المصدر نفسه ، ص408.

38 () غلب الظن ان هذا القبر لعون بن عبد الله بن جعفر بن زينب بنت الامام علي(عليهم السلام) ، وقد أُستشهد مع خاله الامام الحسين(عليه السلام) في كربلاء ، ولكن قبر عون الحقيقي هو مع باقي الشهداء في ضريح الامام الحسين ، أما هذا القبر فهو لـ: عون بن عبد الله وفي احد المواقع الاليكترونية يذكر نسب عون صاحب المرقد المذكور فيقول: عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي بن علي بن الحسن البنفسج بن إدريس بن داود بن احمد المسود بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الامام الحسن السبط (عليه السلام) بن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).مركز الابحاث العقائدية التابع لمكتب المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني. https://www.aqaed.com/

39 () المصدر نفسة ، ص408.

40 () رحلة أبو طالب ، المصدر السابق ، ص267-268.

(41) المصدر نفسه ، ص270

42 () السلطان مراد ، من المرجح أن يكون السلطان مراد الثالث(1546-1595) ، وهو أبن سليم الثاني أبن سليمان القانوني أبو سليم الاول ، وليس السلطان مراد الرابع(1623-1640) ، وكلاهما احتل العراق ، ومن المرجح أن يكون صاحب المشروع الذي ذكره أبو طالب هو مراد الثالث ، الذي احتل كربلاء سنة 1583لانه قام بعدة أعمال خيرية فيها ، حيث امر بتعمير قبة الامام الحسين (عليه السلام) وتبييض خارجها بالجص، وترميم جامع الروضة المطهرة ، بينما قام مراد الرابع باحتلال كربلاء سنة 1638وقتل اهلها والتنكيل بهم لاسباب طائفية ، للمزيد يُنظر: محمد حسن مصطفى الكليدار ، مدينة الحسين (ع) ، ج3، ط1 ، مركز الدراسات والبحوث التابع للعتبة الحسينية المقدسة ، 2016.

ص34، ص58.

43() ألكاك :ومفردها (لاك) ، والاصح (لاخ) ، وقد أخطأ المترجمون سواء الذين نقلوا الرحلة من لغتها الاصلية التي كُتبت بها ، أو الذي نقلها إلى اللغة العربية في تعبيره ، ويعادل الاخ مئة ألف روبية ، وهنالك (كرور) ويعادل مئة مليون روبية.الباحث.

(44) رحلة أبي طالب خان ، المصدر السابق ، ص274-275.

45 () قد يكون نهر النيل الموجود في ناحية الحرية (العباسية)التابعة للكوفة ، الباحث.

46 () أسوار.الباحث

47 () رحلة أبي طالب ، المصدر السابق ، ص275.

48 () المصدر نفسه ، ص277.

49 () غير صحيح فقبر الشاه عباس الكبير(1571-1629) في كاشان بإيران ، ولم يرد في الكتب المختصة بدفناء العتبة العلوية ما يؤيد غير ذلك ، للمزيد عن دفناء العتبة العلوية يُنظر: الدليل المصور لاعلام دفناء العتبة العلوية المقدسة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة العلوية المقدسة ، 2009.

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

50 () محمد خان قاجار(1742-1797) ، مؤسس الدولة القاجارية في ايران التي ضمت طبرستان واذربيجان ومشهد وجورجيا وغيرها من المناطق ، ولايوجد أثر لقبره الان ضمن ضريح الامام علي ، لكن فتح علي شاه ابن اخت محمد خان قاجار والذي تولى من بعده العرش قد نقله الى النجف ، ويتطابق ماذكره أبو طالب مع ماورد في كتاب (تاريخ محمد) والمعروف أيضاً بـ:أ(حسن التواريخ) لمصنفه محمد فتح الله بن محمد تقي ساروي.

51 () قصد أبي طالب آخر ملك في زمانه هو ، الباحث.

52 () قصد أبي طالب أن ذلك التكريم والتبجيل لا يصح في مكان ضريح الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، الباحث.

53 () ذرية محمد خان قاجار ، الباحث.

(54) قماش من الصوف ، الباحث.

55 () قصد أبي طالب مقام (صافي صفا) ، الباحث.

56 () رحلة أبو طالب خان ، المصدر السابق ، ص277-279.

المصادر

أولاً: الكتب

1-الكتب المنشورة باللغة العربية

1-أبي طالب خان ، رحلة أبي طالب خان الى العراق واوربا ، ترجمة مصطفى جواد ، ط1 ، 2007.

2-الدليل المصور لاعلام دفناء العتبة العلوية المقدسة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة العلوية المقدسة ، 2009.

3-عبدالحي الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج7 ، ط1 ، بيروت ، 1999.

4-محسن الامين ، اعيان الشيعة ، ج2 ، ج3، ط1 ، بيروت ، 1983.

5-محمد حسن مصطفى الكليدار ، مدينة الحسين (ع) ، ج3، ط1 ، مركز الداراسات والبحوث التابع للعتبة الحيسينية المقدسة ، 2016.

6-محمد سعيد الطريحي ، أعلام الهند ، ج1 ، ط1، مكتبة مدبولي-القاهرة، 2008.

2- المصادر المنشورة باللغة الإنكليزية

1-A.P.Bhatnagar , The Oudh :Nights, First Edition , 2005.

2-Ann Kemmish, The Life of The Most Noble The Marquis Cornwallis, London N.D.

3-B.L. Grove , Alka Mehta, A new Look at Modern Indian History, NewDelhi,2010. Edition, 2005.

4-Meadows Taylor, Tippoo Sultaun, Vol .i-iii, London, 1840.

5-Purnendu Basu, Oudh and The East India Company 1785-1801,Vol.i, Lucknow, 1943.

6-William Muir, Records of The Intelligence Departmen of The Government of The North-West Provinces of India, Vol.i-ii, Edinburgh, 1902.

3-الكتب المنشورة باللغة الفارسية

1- أبوطالب بن محمد أصفهاني ، مسير طالبي ، به كوشش: حسين خديوجم ، جاب ششم ، انتشارا علمي وفرهنكي ، 1394هـ.ش.

ثانياً:شبكة المعلومات الدولية(الأنترنت)

1-المواقع العربية

مركز الابحاث العقائدية التابع لمكتب المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني .

https://www.aqaed.com

2-المواقع الأجنبية

https://en.wikipedia.org/wiki/Nathaniel_Middleton.

https://en.wikipedia.org/wiki/David_Thomas_Richardson.

Intelligence, an Assassination, East Indiamen and the Great Hurricane of 1808, http://www.victorianweb.org/history/empire/india.

https://en.wikipedia.org/wiki/Lady_Anne_Barnard.

DOI:10.52113/uj05/024-17/81-94

Indian traveler Abi Talib Khan and his journey to the holy shrines In Iraq in 1803

assad hameed Abu Shana

Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences

Abstract

This research deals with Abu Talib Khan's trip to the holy cities in Iraq in 1803, which came as part of a wider trip that started from India to Europe. Abu Talib Khan is an important Indian Muslim political and military figure in northern India. He conveyed to us important details about the nature of the political, economic and social conditions. , In the holy cities in Iraq, under the shadow of the Ottoman administration, in an important historical era that Iraq passed through, and witnessed many political events that had a great impact on its modern history, such as the events of the Wahhabi invasion in 1802, and other events.

Keywords: Abu Talib Khan, Journey, Baghdad, Najaf, Karbala, Samarra, India